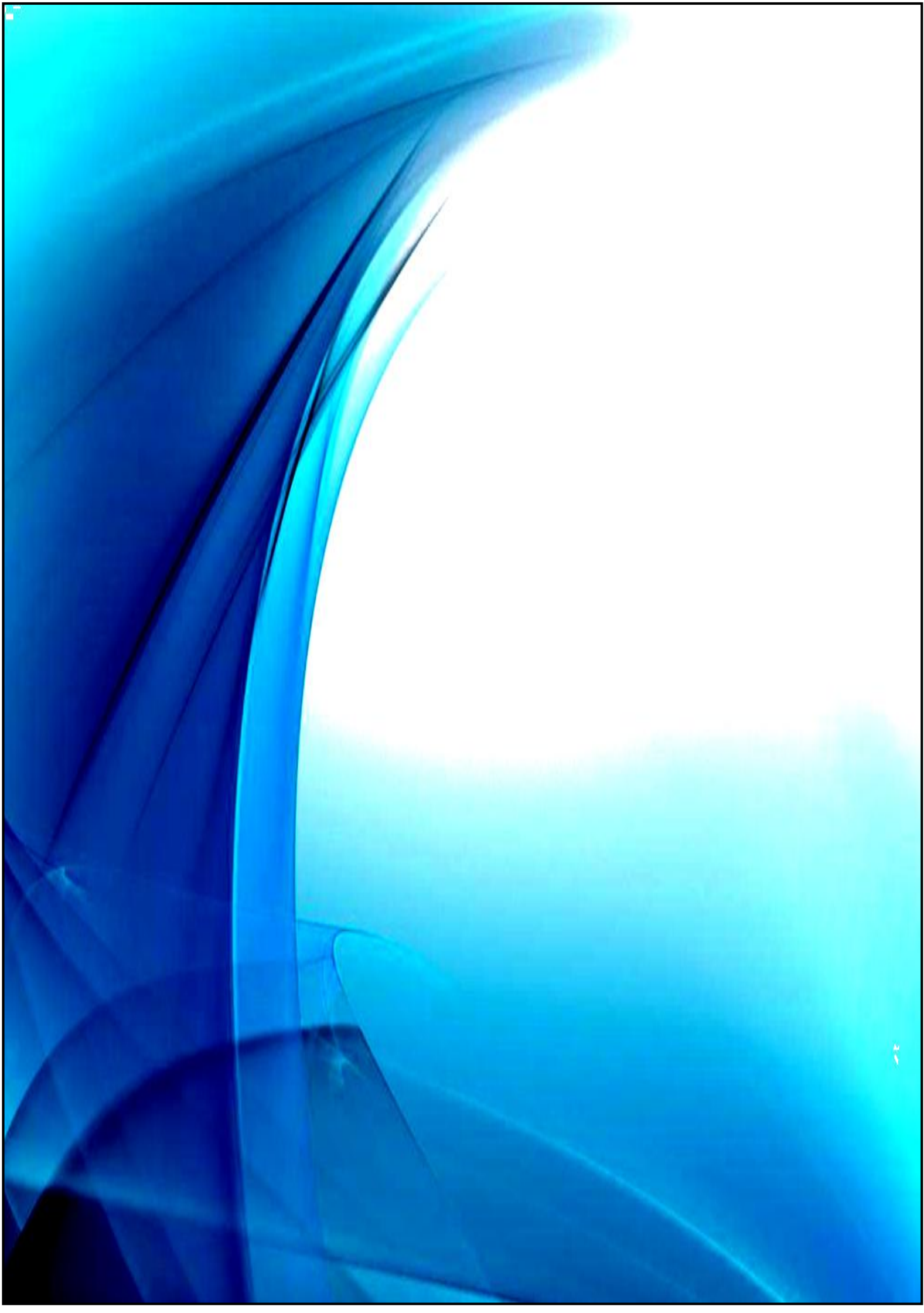


جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي

-تيسمسيلت-

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

في الآداب، الحقوق والعلوم السياسية، علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، العلوم الاقتصادية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد الخامس عشر العدد 02 ديسمبر 2024

EISSN 2602-6376 ISSN 2170-0931

المـــعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت – الجزائر–

شروط النشر وضوابطه

-المعيار مجلة علمية مصنفة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة بتيسمسيلت. الجزائر.

- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

-ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.

- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

- تتم الكتابة بخط (**Traditional Arabic**) حجم (**15**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (**14**).

- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة الفرنسية بخط (**Times new roman**) حجم (**12**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم(**10**).

- تكون الهوامش والإحالات على طريقة أسلوب APA

- لا يقل حجم البحث عن **08** صفحات ولا تتجاوز **15** صفحة.

- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسئول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد الخامس عشر العدد 2 ديسمبر 2024
مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "
تصدر عن جامعة تيسمسيلت – الجزائر
توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz
جامعة تيسمسيلت. الجزائر.
البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz
EISSN 2602-6376 ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:
أ. د. دهوم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:
أ. د. عيساني امحمد

رئيس التحرير:
أ. د. مرسي رشيد.

نواب رئيس التحرير:
أ. د. واضح أحمد الأمين، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. العيداني الياس، أ. د. عطار خالد، أ. د. لكحل فيصل، أ. د. قاسم قادة، د. دهقاني أيوب، أ. د. بوسكرة عمر.

سكرتيرة المجلة:

عرجان نورة

هيئة التحرير:

أ.د. غربي بكاي، أ.د. قاسم قادة، أ. د. عطار خالد، د. صالح ربوح، أ.د. مصابيح محمد، د. بن رابح خير الدين، أ. د. بوسيف إسماعيل، أ.د. بوراس محمد، أ. د. شريط عابد، د. محي الدين محمود عمر، أ.د. روشو خالد، أ.د. العيداني إلياس، أ.د. فايد محمد

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ.د. بن فريحة الجلالي، أ.د. أحمد واضح أمين، أ.د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، أ.د. غربي بكاي، أ.د. بوركبة ختة، أ.د. طعام شامخة، أ.د. شريف سعاد، أ.د. يعقوبي قدوية، أ.د. مرسلي مسعودة، أ.د. بن علي خلف الله، أ.د. رزايقية محمود، أ. د. بوغاري فاطمة، أ.د. قردان ميلود، أ.د. يونسي محمد، **أ**.د.فتوح محمود، أ.د. عيسى حورية، د.بوصوار صورية، د. وسواس نجاة، أ. د. بوزيان أحمد، أ.د. بشير دردار، **من جامعة صفاقس، تونس:** أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، **من جامعة المنصورة، مصر:** د. محمد كمال سرحان، **من جامعة طرابلس، ليبيا:** د. أحمد رشراش، **من الجامعة الأردنية، الأردن:** أ. د صادق الحايك، **من جامعة الجزائر 03، الجزائر:** د. فتحي بلغول، **من جامعة لمين دباغين، سطيف:** أ. د بوطالبي بن جدو، **من جامعة وهران:** أ. د. مخطار حبار، **من جامعة سيدي بلعباس:** أ. د. محمد بلوحي، **من جامعة سعيدة:** د. عبد القادر رابحي، **من جامعة تلمسان:** أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، **من جامعة تيزي وزو:** أ. د. مصطفى درواش، **من جامعة مستغانم:** د. منصور بن لكحل، **من جامعة زيان عاشور، الجلفة:** د. حربي سليم، د. علة مختار، عروي مختار، **من جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف:** أ. د حفصاوي بن يوسف، أ. د مويسي فريد، أ. د. بوراس محمد، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. روشو خالد، أ.د. مرسي مشري، د. لعروسي أحمد، د. قزران مصطفى، د. زرقين عبد القادر، د. محمودي قادة، أ.د. العيداني إلياس، د. عيسى سماعيل، د. بوزكري الجيلالي، د. ضويفي حمزة، د. كروش نور الدين ، د. بوكرديد عبد القادر، د. عادل رضوان. **من جامعة ابن خلدون تيارت:** أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فتاك علي، أ. د. بو سماحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د. شريط عابد. **UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE:** CRISTINE Mensson

كلمة العدد

السلام عليكم،

تطل عليكم مجلة المعيار ككل مرة في مجلد جديد وعدد جديد، يحمل في طياته مجموعة قيمة من المقالات العلمية، وكالعادة يتميز هذا العدد بمقالات من داخل وخارج الوطن التي تحوي الكثير من المواضيع المختلفة في شتى الميادين، سواء كانت أدبية، قانونية وسياسية، اقتصادية واجتماعية.

كل هذا ستجدونه في المجلد الخامس عشر، العدد الثاني.

إن هذه المجلة مجلتكم وإدارتها حريصة جداً على إرضائكم بما تقدمه من أبحاث ودراسات، نتمنى أن يلقى هذا العدد الذي بين يديكم استحسانكم .كما نسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ييسر لنا الاستمرار في عملنا هذا

المدير المسؤول عن النشر
أ.د. عيساني امحمد

محتويات العدد

الرقم	الموضوع	الصفحة
	كلمة العدد أ. د. عيساني امحمد	هـ
01	أثر النّصوص الدّينيّة (قرآنا وسنّة) في بناء ملكة المتعلمين _التعليم المتوسط أنموذجا_ بلحنيش عبد الرّحمن -المركز الجامعي عبد الله مرسلي-تيبازة-الجزائر	16-1
02	أحداث 17 أكتوبر1961م في المسرح الجزائري المهاجر "أمسية في باريس لمجيد بن شيخ أنموذجا" دندان نور الهدى/ بن صفية اسماعيل -جامعة باجي مختار-عنابة-الجزائر	31-17
03	الازدواجية اللغوية وأثرها في تداول العربية الفصيحة -دراسة سوسيولسانية في اكتساب الفصحى لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية- أ. د رزايقية محمود -جامعة أحمد بن يحي الونشريسي –تيسمسيلت-الجزائر	43-32
04	التداولية بين المفهوم والإجراء في النقد الجزائري المعاصر نويجم علي/ هدروق لخضر -جامعة أحمد بن يحي الونشريسي -تسيمسيلت-الجزائر	54-44
05	الخطاب النسوي في الترسل بين الماضي والحاضر في الأدب العربي علة ثليجة /مختاري فاطمة -جامعة الأغواط-الجزائر	70-55
06	الرواية التاريخية والذاكرة الجماعية قراءة في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج ط. د. فليفلة كريمة/ د. عقال فاطمة الزهراء -جامعة يحي فارس المدية-الجزائر	86-71
07	العجائبيّة في كتاب "رسالة ابن فضلان في وصف الرّحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصَّقالبة" شدني سمية / يوسفي يوسف -جامعة تيارت، الجزائر	99-87
08	المناهج النقدية الغربية ورحلة تقويض القصيدة العربية د. رندي محمد -جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت-، الجزائر	111-100
09	تجليات الاستعارة العرفانية في شعر عقاب بلخير بوشلالق كمال / سعد الله زهرة -جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر	121-112
10	تَشَيُّؤ الإنسان: حين تتحول الرقمنة إلى دستوبيا رواية رف اليوم لـنجلاء العتيبي أنموذجا مسالي ليندة / جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر	137-122
11	تقنية القراءة السريعة ودورها في زيادة الإنتاج اللغوي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط ط. د. نيشد بوعلام/ جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	149-138
12	جمالية الاستهلال النصي في رواية "الحماقة كما لم يروها أحد" لسمير قسيمي" شريف سعاد/ جامعة أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر	159-150
13	جمالية الانزياح الدلالي في قصيدة "تأملات صوفية في عمق عينيك" ليوسف وغليسي نيشد أمني / بوعزة عبد القادر-جامعة أحمد بن بلة1 وهران، الجزائر	174-160
14	حركة المعنى في سورة القارعة -مقاربة بلاغية- ميلاط إسلام / المركز الجامعي مغنيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر	191-175
15	حضور العجائبيّة في الرواية الجزائريّة .رواية عز الدين جلاوجي غنائية الحبّ والدّم .نموذجا- د. عمر شادلي / ط. د خديجة بن زاهية -المركز الجامعي آفلو، باتنة، الجزائر	203-192
16	دور القرآن الكريم في التطور الدلالي للمفردات " شعر صدر الإسلام أنموذجا " خديجة بن قويدر / أمين عليوة -المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، الجزائر	218-204
17	دور دراسات الإعجاز في تشكيل الخطاب البلاغي العربي الجمعي شبيكة / جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر	234-219
18	سؤال الحرية والعبودية في رواية هاء وأسفار عشتار "لعزالدين جلاوجي" "مقاربة نقدية تأويلية" أمال ماي/ جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة ،الجزائر	243-235
19	علاقة النّحو العربي بالتّفسير أ. د. العربي بومسحة / جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت، الجزائر	257-244

20	قراءة أبي بَحْرِيَّة عبد الله بن قَيْس: دراسة لغوية أبو بكر الصدّيق مدّاح / جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر	269-258
21	مَظَاهِرُ الحِجَاجِ اللُّغويِّ في صَحِيفَةِ بِشْر بنِ المعتَمِرِ توفيق شعبان / المركز الجامعي مغنيَّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر	285-270
22	مقولات النقد الإيديولوجي للقصيدة الجزائرية السبعينية (مقاربة نقدية تطبيقية) رماس جميلة، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر/ بولعشار مرسلي، جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	294-286
23	نماذج من استدراكات الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الفقهية والمقاصدية جلال لمرد / محمد الشتيوي -جامعة الزيتونة، تونس.	307-295
24	**The Nature and Role of Linguistic Terms within Arab Culture** **Dr .Kerkour Ahlem / University of Mohamed Lamine Debaghin Setif 2 (Algeria),**	319-308
25	**Une Relecture Hermeneutique De La Nouvelle Les Freres De Mowgli De Rudyard Kipli** **Said HANOU Said /Université Ahmed Ibn Yahia Elwancharissi de Tissemsilt, Algérie**	332-320
26	أثر الحرب الروسية الأوكرانية على الأمن الغذائي العالمي د. بوشامة عبد الغاني/ جامعة الجزائر1 كلية الحقوق -الجزائر-	342-333
27	أثر مبدأ المشروعية في تحقيق الأمن القانوني عمار دروازي/ أ. د عدلي محمد عبد الكريم -جامعة زيان عاشور، بالجلفة، الجزائر	352-343
28	التناسب بين الميزة العسكرية والأضرار الجانبية في القانون الدولي الإنساني " العدوان على قطاع غزة أنموذجا " أ. د. روشو خالد/ جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت-، الجزائر	368-353
29	الذكاء الاصطناعي في الجزائر، بين المخاطر والمساهمة في تحقيق الأمن السيبراني ميمي جمال/ جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر1، الجزائر	384-369
30	الطبيعة القانونية للإدارة الإلكترونية في الجزائر ط. د / لخضر ميساوي / أ. د. عطاء الله بوحميدة -جامعة الجزائر1، الجزائر	399-385
31	الهجمات السيبرانية بين التحديات القانونية والأخلاقية والاستجابات الدولية براهيمي اسماعيل / جامعة البليدة 02-الجزائر	411-400
32	تجارة الرقائق الالكترونية عبر مضيق تايوان؛ بين المصالح الاقتصادية والتنافس السياسي جصاص لبنى / جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر	423-412
33	**Les Elections Communales Du 23 Novembre 2017 En Algerie : Enquete Sur La Representation Des Partis Politiques Dans La Wilaya De Tlemcen** **Kadi khayreddine / université de Tlemcen, Algérie**	433-424
34	**The Balance Between Executive and Legislative Powers in Light of the 2020 Constitutional Amendment: A Formal Equilibrium or an Embodiment of Democracy?** **Rital Salah / Relizane University, Algeria**	444-434
35	المقاولاتية الخضراء في الجزائر: تحليل للتجربة وتقييم للتأثير على المجتمع والبيئة- سعدي عائشة / جامعة أحمد بن يحي الونشريـــسي، تيسمسيلت، الجزائر	453-445
36	تمكين الانتقال الطاقوي في الجزائر في ظل تحيين المدونة القانونية محنون محمد / محمد كريم نورالدين-جامعة مستغانم، الجزائر	463-454
37	دراسة وصفية تحليلية لمؤشرات الحوكمة في الجزائر للفترة (1996-2022) نصاح سليمان/ بحي فاطمة- جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، عين الدفلى، الجزائر	478-464
38	دور تحليل سلسلة القيمة في تعزيز القدرة التنافسية لمنظمات الاعمال أ.د. العيداني إلياس/ أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	495-479
39	صكوك الاستصناع الاسلامية واستشراف تطبيقها من طرف المؤسسة الوطنية للترقية العقارية " التجربة المصرية نموذجا" ط د: عناني سفيان / د. بن حدو فؤاد -جامعة أحمد زبانة غليزان، الجزائر	510-496
40	قياس أثر عدم تماثل تغيرات سعر الصرف على القدرة الشرائية للعمال في الجزائر دراسة قياسية باستخدام منهجية NARDLخلال الفترة (1990-2023) تومي بلال، جامعة لونيسي علي البليدة 2، الجزائر/ تومي محمد، جامعة سعد دحلب البليدة 1، الجزائر	526-511
41	**An Examination of Quality from the Providers' Perspective: A Study of Algerian Hotels** **Terkmani Meriem1/ Ghidouche Ait-Yahia Kamila - Ecole des Hautes Etudes Commerciales, Algeria**	538-527

42	**The role of generative artificial intelligence in enhancing risk management in the banking sector a case study of Barclays bank** **Hassini djazia, university of chlef, Algeria / Logab djilali, university of Tissemsilt, Algeria**	553-539
43	**أحوال وأوضاع المسلمين في تشريعات الكنيسة في الغرب اللاتيني (1000-1500م)** **د. برق الاغويني، جامعة الجلفة، الجزائر**	569-554
44	**اختطاف الأطفال بين الواقع والتهويل في المجتمع الجزائري من وجهة نظرا الأولياء** **د/ لطفي بوحوية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر/ /محمد بن حمّار، جامعة البلدة 02، الجزائر**	582-570
45	إدارة الوقت وعلاقته بجودة التعليم لدي تلاميذ الطور المتوسط-ولاية تيسمسيلت نموذجا ساسي هادف جبير، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت-الجزائر/ براهمي سعيدة، المركز الجامعي مرسلي عبد الله –تيبازة-، الجزائر	596-583
46	أزمة الثقافة الشعبية ومهمة الفلسفة مداح رزقي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر	606-597
47	**استخدامات الذكاء الاصطناعي في التعليم والضوابط الأخلاقية المنظمة لها** **قدور كرومي، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ المبارك الميلي بوزريعة، الجزائر**	617-607
48	**الآثار السلبية للتغيرات المناخية في العراق-الهجرة الداخلية نموذجا** **ميران حسين، جامعة السليمانية – إقليم كوردستان، العراق**	633-618
49	**التنوير من منظور تيزفيتان تودوروف** **بوقفة أحلام/ أ. د عبد المالك عيادي-جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة -الجزائر**	648-634
50	**التوافق الأسري وعلاقته بقلق المستقبل لدى طلبة جامعة الشرقية بسلطنة عمان** **د. أمجد عزات جمعة، أستاذ علم النفس التربوي المشارك، قسم علم النفس، جامعة الشرقية، سلطنة عمان/ د. أمينة بن قويدر صمد، أستاذ علم النفس الإكلينيكي المشارك، جامعة الشرقية، سلطنة عمان/ هديل بنت بدر الشحي، هاجر بنت عبد الله الحبسي، هاجر بنت عيسى الحسني، طالبات بكالوريوس إرشاد نفسي جامعة الشرقية، سلطنة عمان**	665-649
51	**الحج كطقس عبور بقصر بوانجي -دراسة أنثروبولوجية لطقوس استقبال الحاج-** **خليفي غانية 1/ أ. د بلحسن مباركة -جامعة وهران 02 محمد بن أحمد، وهران، الجزائر**	681-666
52	**الصين من خلال كتب الرحلات الإسلامية: كتاب عجائب الدنيا وقياس البلدان أنموذجا** **كرطالي أمين، جامعة يحي فارس، المدية**	689-682
53	**الكفاءة الرقميّة للأستاذ الجامعي بين ضرورة التّحول الرّقمي وضمان جودة التّعليم** **مديحة دبابي، المدرسة العليا للأساتذة -مسعود زغار-سطيف، الجزائر**	704-690
54	**المخاطر المهنية في بيئة العمل وطرق تقديرها: بعض الطرق الأرغونومية التقييمية أنموذجا** **بلمجاهد خيرة، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر**	717-705
55	**آلية الرقمنة كاستراتيجية لتحقيق جودة الخدمات الصحية -دراسة نظرية تحليلية** **ط. د/ غربية محمد/ د. العيفاوي فريدة -المركز الجامعي مرسلي عبد الله –تيبازة-الجزائر**	731-718
56	**تجربة جامعة قسنطينة بالجزائر لتكوين الأساتذة حديثي التوظيف عن بعد أرضية مودل Moodle أنموذجا -الواقع والآفاق-** **د. ليلى قلاتي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر**	745-732
57	**تطبيق التعلم المصغر القائم على الوحدات التعليمية المصغرة الإلكترونية في ضوء الاتجاهات** **زازل فيروز/ جعلاب نور الدين التربوية الحديثة، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر**	759-746
58	**تطور الوسائل التعليمية في المنظومة التربوية، اللوحة الإلكترونية أنموذجا، دراسة ميدانية** **خديجة مكاوي، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر**	773-760
59	**تعليم الفلسفة للأطفال: بناء عقول مفكرة ومستقل.** **د. عمار طرابلسي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر/ د. ديلمي راوية، جامعة المسيلة، الجزائر/ ط. د. سباغ مروة، جامعة حسبية بن بوعلي الشلف، الجزائر**	787-774
60	**توطين تقنية الواقع المعزّز في التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية-دراسة ميدانية بجامعة سكيكدة** **د. لبنى يسعد، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر**	802-788
61	**درجة استخدام تكنولوجيا المعلومات في تسيير المؤسسات التعليمية في ضوء متطلبات جودة التعليم** **ط. د. نحوي عصام/ أ. د. سلام هدى-جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2، الجزائر**	814-803
62	**دور جريدة المجاهد في مقاطعة استفتاء 8 جانفي 1961م** **د. حيفر مريم، جامعة باتنة 1، الجزائر**	827-815

63	الغرر وأثره في صيغة سكنات الوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره "عدل" هنان عبد القادر/ بن عمار زهرة -جامعة أحمد بن بلة 1، الجزائر	842-828
64	سيكوباتولوجيا الشباب وأزمة التكفل النفسي في الجزائر حامق محمد، جامعة ابن خلدون –تيارت، الجزائر	857-843
65	قاعدة ابن حجر في دفع علّة الاضطراب. على أحاديث صحيح البخاريّ مرابط فؤاد / أ. د بوشامة رضا-جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، الجزائر	870-858
66	مساهمة الثقافة التنظيمية بأبعادها (البعد التنظيمي، البعد الإنساني) في تحقيق تماسك فريق العمل بالمؤسسة الجزائرية-دراسة ميدانية بمؤسسة نفطال – تيارت- بلعربي عادل عبد الرحمان، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر	886-871
67	مستوى التنمر لدى طلبة جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي- د. عناب أميمة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر	900-887
68	واقع استخدام اللغة الانجليزية في البحث العلمي بالجزائر-دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران 01 سبتي سهام1 / بن عجايمية بوعبد الله -جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، أحمد بن يحيى الونشريسي	916-901
69	وظائف الإعلام التربوي ودورها في الارتقاء بالوعي الديني المجتمعي د. سامي حبيلي، جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، الجزائر/ أ. د. عمر مونة، جامعة غرداية، الجزائر	930-917
70	مستقبل التعليم في ظل التطور المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي: نحو مزاوجة خلاقة مع مزايا الذكاء البشري للاستفادة من التقنيات وتلافي مضاعفاتها رزين محمد، جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس، الجزائر	946-931
71	**Hate speech through cyberspace: a new strategy for escalating behaviour aggressive and seditious "Long title"** **SLIMANI Cherifa, Ibn Khaldoun University, Algeria**	960-947
72	**Human Rights in Rhetoric and Practice** **Bouchareb Fatima / Bassou Abderrahman -Abou Bakr Belkaid Tlemcen University, Algeria**	972-961
73	**The influence of digital technology on improving university professors' performance** **Zitouni Sabira , Morsli Abdullah University Center, Tipaza**	984-973
74	**The Politics of Location in Transnational African Diasporic Narratives: Shifting Homes in Tayeb Salih's Season of Migration to the North (1966)** **Bechani Fatima /Prof. kaced Assi - University of Algiers 2, Algeria -**	1000-985
75	**Une approche théorique des transformations sociétales selon Auguste Comte** **ketfi Yasmina, Université de Mohamed Boudiaf à M'sila, Algérie**	1008-1001

الخطاب النسوي في الترسل بين الماضي والحاضر في الأدب العربي

Feminist discourse in correspondence between the past and the present in Arabic literature



علة ثليجة [1*] مختاري فاطمة [2]

[1] جامعة الأغواط، مخبر علم اللسان، الجزائر.

allata17112022@gmail.com

[2] جامعة الأغواط، مخبر علم اللسان، الجزائر.

allata17112022@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/08/16 تاريخ القبول: 2024/10/23

****

ملخص:

يُعنى هذا البحث بالرسائل بين الأديبات، ولاشكّ أنّ الرسائل عامة ومراسلات الكاتبات خاصة، ليست حديثة العهد بل هي نوع من الكتابة عرفته الأمم في مراحل تطورها وتمدنها شكلا من أشكال التخاطب بين الفئات المثقفة وجنسا من أجناس الأدب النثرية نشأ أصلا لتأدية وظائف تداولية إنجازية، لكن ما فتئت أشكاله وأغراضه ومقاصده تتطور وتتنوع.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الأدبية؛ الفنون النثرية؛ الترسل النسوي؛ الدراسات النقدية؛ الرواية.

Abstract:

This research is concerned with letters between women writers, and there is no doubt that letters in general, and the correspondence of women writers in private, are not new, but rather they are a type of writing known to nations in the stages of their experience and civilization, forming a form of communication between educated groups and a type of prose literature that originally began to perform wonderful deliberative functions, but what Its origins, purposes, and purposes continued to wait and diversify.

Key words: Literary studies; prose arts; feminist correspondence; critical studies; novel

* علة ثليجة

مقدمة:

لا يخفى على أحد أنّ أدب الرسائل هو فن وجنس أدبي ليس بجديد، وبأنّ هذا النوع من الأدب فيه الكثير من الجمال ومن المعرفة ومن التوثيق لحقبة زمنية ومنطقة/مناطق جغرافية معينة من خلال بوح كتّاب الرسائل ويحفل تراثنا العربي بالكثير من النماذج التي تدل على وجود وحضور هذا النوع الأدبي في الحقب الماضية المختلفة. وفي العصر الحديث اشتهرت رسائل جبران خليل جبران ومي زيادة، وأنور المعداوي وفدوى طوقان، التي كشفها الناقد المصري الراحل رجاء النقاش، وغسان كنفاني وغادة السمان، وأنسي الحاج وغادة السمان، وخليل حاوي وديزي الأمير وغيرهم. أمّا في العالم الغربي فقد اشتهرت رسائل سارتر وسيمون دي بوفوار.

وفي هذا السياق، نُلم بصورة المرأة في الرسائل، وأشار، على وجه الخصوص، إلى ندرة رسائلها المنشورة، فإذا استثنينا رسائل مي زيادة، وهي استثنائية ضمن مدونة الرسائل الحديثة، لا نجد للمرأة صوتاً في الرسائل إلا مرسلاً إليها، أو صدى ترجعه رسائل الرجل المرسل، أو نداء يطالب بالإفراج عن صوتها المحبوس في رسائل ضائعة أو مصادرة، كما هو الشأن بالنسبة إلى النداء الذي وجهته غادة سمان في مقدمة رسائل غسان.

إن مدونة الرسائل تؤكد أن حضور المرأة فيها كان محدوداً جداً سواء أكانت مرسِلة أو مرسلاً إليها، ويضاف إلى هذا غياب الدراسات التي تنعطف على هذه الرسائل بالتحليل والتأويل.

فما هي صورة المرأة التي تجليها لنا رسائلها؟ وما دور مقام التخاطب الثنائي في هذه الصورة وفي تحدث المرأة عن نفسها ترسلا؟

1. صورة المرأة في الرسائل:

أولت الدراسات العربية اهتماما خاصا بمراسلات المرأة بدءا من مراسلات مدام دي سيفنييه (صالح، 1998، الصفحات 30-32)، وبلغت هذه المنزلة – زيادة على كثرة الدراسات – حدا اعتبرت فيه رسائل المرأة جنسا (فرعيا) قائما بذاته، بل إنّ هناك من ذهب إلى اعتبار الترسل فنا أو جنسا "نسائيا" (الحق، 2008). وعموما تجمع الدراسات الغربية على أنّ المراسلات مكنت المرأة من اقتحام عالم الأدب والتعبير عن ذاتها الخاصة (عاطفيا واجتماعيا) والعامة (أدبيا وثقافيا، ونحت صورة متميزة رغم العوائق التي حالت دون تعبير المرأة عن ذاتها بحرية وتلقائية حتى في الرسائل الخاصة وتوصلت هذه الدراسات إلى تمييز مراسلات المرأة عامة ومراسلات الحب خاصة بخصائص منها العفوية واعتماد الذوق الذاتي والتعبير بلغة القلب والعواطف، خلافا لرسائل الرجل التي يغلب عليها التكلف واعتماد الذائقة البلاغية الموروثة والتعبير بلغة الفكر والتقاليد الفنية (مي، 1954، الصفحات 66-70). وبالإضافة إلى اهتمامها برسائل المرأة الحقيقية، اهتمت الدراسات كذلك برسائل المرأة المتخيلة التي أنشئت من طرف كتاب رجال وأسندت إلى المرأة ضمن الرواية التراسلية التي استخدمت الرسائل (الحقيقية أو المتخيلة) أداة رئيسية في السرد. ورغم إدراك الطبيعة المتخيلة لهذه المراسلات والوظائف الفنية التي تنهض بها في سياق الرواية، فإنّ ذلك لم يمنع من الاهتمام بصورة المرأة في هذه الرسائل وخصائص التلفظ فيها.

ومن أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسات ظاهرة التعدد والتركيب في شخص المتلفظ ورؤيته من خلال ضمير المتكلم، مقارنة بالمتلفظ في الرسائل الحقيقية، فهناك الكاتب الذي كتبها(للقارئ) والسارد الذي رواها (للمرويّ له) والشخصية المرسلة التي تخاطبت فيها مع المرسل إليه اختلافا وتخيلا. ويفترض أنّ كل طرف أو صوت من هذه الأصوات مساهم درجة ما في نحت صورة المرأة المتكلمة في الرسائل ومؤثر على نحو من الأنحاء في بناء ذاتيتها (مي، 1954، الصفحات 70-85).

أمّا وضع مراسلات المرأة في الدراسات العربية فليس أحسن حظا من مراسلات الكتاب الرجال، لا لندرة الدراسات المهتمة بها فحسب – فهي ظاهرة عامة تشمل مراسلات الكتاب العرب ككل– ولكن لندرة الرسائل المنشورة، فإذا استثنينا رسائل مي زيادة – وهي استثنائية بالفعل ضمن مدونة الرسائل الحديثة – لا نجد للمرأة صوتا بالإفراج عن صوتها المحبوس في رسائل ضائعة أو مصادرة. (غسان، 1994، الصفحات 80-85) ولا يعني هذا إن الكاتبة العربية لم تكن تجد في الرسائل مجالا للتعبير عن ذاتها و اقتحام عالم الأدب، بل يعني أنها كانت تتخاطب مع غيرها في المراسلات ولكن المجتمع الرجالي لم يكن يسمح لها بان تعبر عن ذاتها وتنحت لنفسها مكانا متميزا في عالم الكتابة والأدب، وما يؤكد ذلك أن المرأة الكاتبة كانت تعبر عن ذاتها ضمن أجناس الكتابة الأدبية الأخرى كالشعر(فدوى طوقان – نازك الملائكة) والرواية والأقصوصة (غادة السمان) والمقال(جُلّهن) وكانت لها علاقات مختلفة مع غيرها رجالا ونساء (حب – صداقة – إبداع) فكان من الأجدر أن تجد في المراسلات مجالا أفضل للتعبير عن ذاتيتها خاصة و أنّ أكثرهن عرفن بجرأة مواقفهن ونزوعهن للتّجديد وكسر الأطر المفروضة عليهن. (طوقان، 1996، الصفحات 30-32) ومدونة الرسائل تدل على أنّ حضور المرأة فيها محدود جدا سواء كانت مرسلة أو مرسلا إليها، رغم أنّ المراسلات جنس حواري يقتضي رسائل وردودا وتضمن الرسائل آثارا وقرائن على وجود الردود سواء من خلال ردود الكتاب عليها وإشاراتهم المتكررة لها أو من خلال المقاطع المنتخبة والمدرجة في رسائلهم للاستشهاد أو للرد عليها.

وما يزيد هذا الوضع التباسا أن رسائل المرأة القليلة المنشورة – وهي رسائل مي زيادة – لا تمثل جيدا صورة المرأة المتكلمة في الرسائل، لأنها لا تُعبر إلا عن نموذج خاص للفتاة الشرقية المحافظة، وهي مختلفة عن نموذج المرأة العاطفية التي تجسمها فدوى طوقان ونموذج المرأة المتحررة المعتدة بذاتيتها كما تجسمها غادة السمان وليس وضع المرأة المتكلمة في الرسائل المتخيلة مختلفا عن وضعها في الرسائل الحقيقية، لأنّ العوائق التي حالت دون نشر رسائل المرأة الحقيقية تحول كذلك دون تكلم المرأة عن نفسها في الرسائل حتى إن كان ذلك في نص أدبي متخيل تستخدم فيه رسائل المرأة أداة فنية، والنصوص الأدبية القليلة التي استخدمت الرسائل أسلوبا فنيا وأداة من أدوات الكتابة مثل "أديب" لطه حسين" و"أوراق الورد" للرافعي بقي فيها صوت الرجل مهيمنا ففي "أديب" لم تكن المرأة في الرسائل العديدة المدرجة فيها لا مرسِلة ولا مرسَلا إليها، ولم تكن متحدثا عنها إلا قليلا وفي أوراق الورد – رغم أنّها مراسلات متبادلة في النص المتخيل بين "فيلسوف" و "شاعرة" وفي الواقع بين الرافعي ومي زيادة – حضرت المرأة في الرسائل العديدة المدرجة فيها لا مرسِلة ولا مرسِلا إليها، ولم تكن متحدثا عنها إلا قليلا.

وفي أوراق الورد -رغم أنها مراسلات متبادلة في النص المتخيل بين "فيلسوف" و "شاعرة" وفي الواقع بين الرافعي ومي زيادة حضرت المرأة في الغالب مرسلا إليها ولم تحضر مرسلة متكلمة عن نفسها إلا قليلا وفي رسائل منقولة على لسان المرسل نفسه وبأسلوبه الخاص. وقد اختار الصديق مقاطع معينة من رسائلها تستجيب لذوقه الخاص وتخدم مقاصد الترسل لديه (صادق، 1994، الصفحات 80-90).

ويُضاف إلى تغييب أو تهميش رسائل المرأة الحقيقية أو المتخيلة في مستوى الحضور والنشر تهميشا في مستوى النقد والتحليل، فباستثناء دراسة أمل داعوق سعد لرسائل مي زيادة – وهي دراسة سطحية تكتفي بتعريف الكاتبة واستعراض مضامين الرسائل وأساليبها في إطار فن الترسل التقليدي – لا نعثر على دراسة تولي اهتماما برسائل المرأة وتعنى بإجلاء صورتها فيها (الطويلي، 2003، الصفحات 40-45). والمواضع التي عرضت فيها أمل داعوق سعد لصورة مي زيادة متكلمة عن نفسها محدودة جدا، من ذلك حين تذهب إلى أنّ رسائلها ترتبط بسياقات ذاتية ونابعة من وجدانها وانفعالات فكرها، وهي في نظرها مرآة تعكس حالاتها النفسية المختلفة وسجل لأطوار حياتها بكل ما تضمنته من تفاصيل ومشاهدات وانطباعات. وفي عرضها لأسلوب مي زيادة في الرسائل ترى أنّها تتميز بعفويتها وصدقها وصراحتها، ولم تنتبه إلى المزالق التي يؤدي إليها اعتبار التحدث عن النفس في الرسائل إخبارا صادقا عن واقع حقيقي، باستثناء إشارتها إلى أنّ العديد من الرسائل تفصح عن رغبة المرسلة في أن تنال الرضا والإعجاب من المرسل إليه وتحاول أن تقدم صورة محسنة عن نفسها من خلال الصفات الايجابية التي تصبغها على ذاتها. وتخصيص هذه الدراسة لفن المراسلة عند مي زيادة" لا يعلل إهمال صورتها وخصائص التحدث عن النفس في الرسائل الخاصة، لأنّ لهذه الصورة صلة بفن الترسل الذي يلعب دورا حاسما في نحتها ويترك آثاره فيها على نحو من الأنحاء.

جمع جميل جبر في كتاب "رسائل مي" أربعا وثلاثين رسالة منها ثلاث رسائل لم تكن مي كاتبتها بل كانت مرسلة إليها، ورسالة غير حقيقية خاطبت فيها ساعتها المفقودة، وما بقي منها ثلاثون رسالة يتفاوت فيها التحدث عن النفس اختزالا وطولا وتتراوح صورتها الذّاتية بين الخفاء والتجلي، وذلك حسب الشخص المرسَل إليه وعلاقة الكاتبة به. فمنها الرسائل العائلية التي يغلب على أسلوبها التكلف ومراعاة لياقة التخاطب الاجتماعي، ومنها الرسائل التي تتخاطب فيها مع النساء الكاتبات وهي تعبر عن علاقات أدبية وفكرية وتكشف عن شواغل المرأة المختلفة أمّا بقية الرسائل التي تتخاطب مع الرجل فهي تتفاوت في طريقة التحدث عن النفس ودورها في إجلاء صورتها من الدّاخل.

2. الصورة النمطية العامة:

إنّ الحديث عن صورة "عامة" في مراسلات خاصة يبدو نوعا من التناقض، خاصة إنّ جلّ الدراسات تذهب إلى أن مقام الرسائل الخاصة يمكّن المرسل من كسر الصورة المثالية للكاتب" (غسان، 1994، صفحة 135)وانّ "الأديب أو الفنان عندما يكتب رسالة خاصة فإنّه غالبا ما يكون مستعدا لإماطة اللثام عن ذات شخصه وبهذا يقدمنا إلى الذات الشخصية التي كانت تلبس قناعا" (غسان، 1994، صفحة 7) وهذا ما يجعل الرسائل الخاصة" تزخر بما هو ممتع ومفيد للقارئ والباحث الذي يتوق لكشف النقاب عن الوجه الآخر

للكاتب (غسان، 1994، صفحة 17). كما يجعلها مرجعا ورافدا أساسيا لاستكمال صورته الإنسانية والأدبية التي أطلّ بها على قرائه ومحبيه" (غسان، 1994، صفحة 25)ويمكن تجاوز هذا التناقض بالنظر إلى ما تنبني عليه الكتابة الرسائلية من ازدواج في الخطاب فهو من جهة ناشئ عن التخاطب الثنائي أو ما سمّاه البعض بـ "أدب النفس والقلب" (سعد، صفحة 128)ما يقتضيه من عفويّة وتلقائية وصدق – وهي خصائص أجمع النقاد على توفرها في مراسلات مي زيادة – وهو من جهة أخرى فن يخضع ككل فنون القول لقواعد وأصول وان كان النقاد يرون أنّ فن المراسلة يخضع لأصول من النوع السلوكي و الأخلاقي متمثلا في لياقات التعامل مع المجتمع وآداب التخاطب مع الآخرين و احترام مراتبهم. ولذلك فإنّ رسائل مي زيادة بقدر ما تتميز بالعفوية والذاتية تتميز أيضا بالاحترام واللياقة واللباقة والاعتذار والتلطف في التخاطب، بالإضافة إلى ما يتطلبه فن الترسل من تأنق في العبارة واختيار للأسلوب المناسب دون التكلف الذي نجده في رسائل القدامى ودون الاسترسال العفوي الذي نجده في التخاطب الشفوي.

وخلاصة القول إنّ مي زيادة في مراسلاتها الخاصة لم تنزع "قناع" الكاتبة كليا ولم تتخل عن صورتها المثالية العامة. ومثلما تطلع رسائلها قارئها على صورتها من الداخل"، تساهم كذلك في نحت صورتها المثالية العامة، بل تعمل على تحسينها وتجميلها، فحتى في المواضع التي تتكلم فيها مي زيادة عن ذاتها الخاصة تكون حريصة على تقديم صورة محسّنة ومدعاة لإعجاب المخاطب. وهذا المنحى لفت اهتمام أمل داعوق حين ذهبت إلى أنّ عفوية الكتابة والتصاقها بتجربة مي زيادة الذاتية لا تنفي أن إفصاح الرسائل عن رغبة في أنّ نيل الرضا والإعجاب من المرسل إليه ومحاولتها إعطاء صورة محسنة عن نفسها وتقديم ذاتها مثالا للجمال والأدب والذوق ورهافة الشعور والتواضع ... وتظهر اللمسات التجميلية، زيادة على ذكر المحاسن دون العيوب، في تداخل المتخيل والواقع في تشكيل الصورة الذاتية من خلال التمثيل البلاغي (التشبيه) أو التضمين الشعري لتشكل صورة للمرسلة بواسطة الطاقة البلاغية والموروث الشعري من شأنها إرضاء ذوق المخاطب الجمالي والفني معا، بل إنّ مي زيادة لا تقنع بمطابقة صورتها للنموذج الجمالي في الشعر العربي وإنما تتفوق عليه بالجمع بين جمال المنظر وكمال الفكر وعمق الشعور لتحقق ضربا من الكمال تعجز اللغة التراسلية المألوفة عن وصفه فتستعير الصورة البلاغية والشعرية، ولا تكتفي مع ذلك بالوصف أسلوبا في نحت صورتها الذاتية بل تستخدم أساليب الحجاج، جامع بين التأثير الانفعالي الجمالي والتأثير العقلي الاستدلالي (رمضان، 2003، الصفحات 15-20).

وللصورة المرسومة في رسائل مي زيادة خاصية أخرى وهي أنّها لا تحيل على ذاتيتها الفردية فحسب وإنّما تحيل كذلك على الذات الاجتماعية والثقافية، فينفتح التخاطب الثنائي على حوار عام ذي مضمون اجتماعي أو ثقافي وتحلّ ضمائر الجمع العامة (نحن/ أنتم) محل الضمائر المفردة الخاصة (أنا/ أنت) وتذوب ذات الكاتبة الفردية (مي زيادة) في الذات الجماعية (النساء عامة والنساء العربيات خاصة) وتصبح قضاياها الخاصة جزءا من قضايا المرأة وشواغلها العامة أو تجعل من قضايا المرأة وشواغلها العامة قضاياها هي وشواغلها الخاصة. ففي الرسالة التي كتبتها إلى باحثة البادية (مي، 1954، الصفحات 24-

29)لم تتكلم فيها عن نفسها في إطار التخاطب الثنائي المألوف (متكلم مفرد/ مخاطب مفرد) ولم تستعمل الضمائر المفردة (أنا /أنت) إلا بصفة محدودة جدا.

وإنّما أشركت المرسل إليها معها في التحدث باستعمال ضمير المتكلم الجمع (نحن) على أساس الاشتراك في الجنس (المرأة) والوضع الاجتماعي (المضطهدة) وبالتالي على أساس التقابل مع الطرف الآخر جنسا (الرجل) ووضعا اجتماعيا (المضطهد) لذلك جعلت الرجل طرفا غائبا ومتخاطبا بشأنه: "كذلك الرجل يسر ويرجو ويريد أن تشعر المرأة باستبداده" (مي، 1954، صفحة 26) ولم يعد ضمير المتكلم يحيل على المرسِلة (وحدها) ولا على المرسَل إليها (وحدها) بل أصبح يحيل على جنس النساء ككلّ: "نريد له خيرا" بل إنّ واجباتنا ومسؤوليتنا يفوقان ما عليه من مسؤولية وواجب" (مي، 1954، صفحة 27) وفي رسالتها الموجهة إلى لطفي السيد (مي، 1954، صفحة 35) لا تتخاطب معه على أساس فردي وشخصي خاص بل على أساس اجتماعي عام إذ تضع التخاطب في إطار العلاقة بين الجنسين (رجال/ نساء) وتستعمل ضمير المخاطب الجمع (أنتم) بالنسبة إلى المرسل إليه فتتخاطب من خلاله جنس الجمع (نحن) بالنسبة إلى المرسلة فتتكلم على لسانها كل النساء: "إننا اهتممنا بالخطب والقصائد اهتماما عظيما". إنّ الذاتية الفردية تذوب هنا في ذاتية أعم وأوسع هي ذاتية المرأة المختلفة عن ذاتية الرجل، فصورتها الخاصة اندمجت في الصورة العامة وصارت المرسلة لسان حال المرأة تتكلم باسمها وتعبّر عن شواغلها ووضعها الاجتماعي وتدافع عن قضاياها.

وحضر الهوية الثقافية بصفة فاعلة في نحت صورة المرأة المترسلة من خلال الشواغل الفكرية والأدبية التي تعبر عنها أو المراجع الثقافية التي تحيل عليها، خاصة وهي تتراسل غالبا مع أدباء ومثقفين يشتركون معها في مراجع ثقافية ويقتضي التخاطب معهم كفايات ثقافية خاصة، ولذلك فإنّ صورة المرسلة لا تمثل عامة النساء وإنّما النساء اللائي يقرأن "الخطب والقصائد" والقادرات على استعمال "ملكتي النقد والاستحسان"، أي اللائي حصلن حدا معينا من التعلم واستطعن تخطي عتبة المدارس ودخول الكليات والجامعات، وتجاوز "أبجدية اللغة" إلى أبجدية العلم أي أبجدية الحياة والنور. وحتى في السياقات التي كانت المرسلة تظهر فيها متواضعة ومتصاغرة حين تصف نفسها بـ "الصغيرة " و "التلميذة" و "الطفلة" وتصف المرسل إليه بـ "الأستاذ" و "ذي الصولجان و"العلامة " و " الفاضل"، فإنّ ذلك لا يعبر عن تراتب اجتماعي بقدر ما يعبر عن تراتب ثقافي ويدل على سمة من سمات الكاتبة الثقافية وهي تقدير الفكر وأهله، وتزداد ذات المرسلة الثقافية حضورا واتضاحا بفضل اطلاعها على فن المراسلات قديما وحديثا (مي، 1954، الصفحات 43-45) وتأثرها بنماذج من مراسلات الأدباء الغربيين مثل مراسلات دي سفنييه المشهورة. فهي تتمثل هذه النماذج في مراسلاتها الخاصة وتطمح إلى بلوغ مستواها الفني والفكري. ومن ذلك افتتاحها إحدى رسائلها إلى يعقوب صروف (مي، 1954، الصفحات 47-52) بقصة مراسلات فولتير و دالمبير لا لإبداء إعجابها بها فحسب وإنما لاتخاذها مدخلا أو إطار لبناء التخاطب الثنائي الذي يتداخل فيه الذاتي الخاص مع الثقافي العام: "ما لي وللفيلسوفين أغبط الواحد منهما على الآخر وأنا قد أسعدتني الحياة بصديق مثلهما أحدّثه وأراسله وأتلقّى تأثيره الفكري العالي" (مي، 1954، صفحة 46). ويظهر هذا التأثر

في الصورة المنفردة التي تنحتها الرسائل لشخصية مي زيادة ميزتها كرة التقليد والاعتداد بالذات والسخط على الكتاب العرب لغياب الذاتية وعدم التسامي إلى مستوى "المواضيع الاجتماعية والفلسفية والعلمية والدينية والسيكولوجية".

3. الصورة الذاتية الخاصة: مراسلات الحب أنموذجا:

إذا كان من الجائز أن نُعدّ رسائل المرأة جنسا فرعيا مخصوصا أو نُعدّ الرسائل جنسا نسائيا – كما تذهب إلى ذلك بعض الدراسات فإنّ أبرز ما يميز رسائل الحب كما تمثلها مي زيادة أنّ المتكلمة فيها لا تعبر صراحة عن عاطفة الحب ولا تفصح عن ذاتها في نوع من التعرية والبوح إنّما تسلك في ذلك أساليب ملتوية وغير صريحة وتأسس خطاب الحب في رسائلها على جدل البوح والكتمان أو الكشف والإخفاء، ومع أنّ هذه قاعدة في قول المرأة للحب ونحت صورتها العاطفية في الرسائل – كما سترى – فإنّه من المفيد أن نميز بين مقامي التراسل الحقيقي والمتخيل.

1.3 مراسلات الحب الحقيقية:

غلبت مي زيادة في مراسلات الحب الكتمان والإنكار على البوح والاعتراف، ففي إحدى رسائلها إلى جبران خليل جبران (مي، 1954، الصفحات 56-58) تتوخى الكاتبة أسلوب التكتم وإنكار علاقة الحب مع المخاطب وتتجنب ما أمكن البوح والاعتراف. وتجلى هذا المنحى من خلال العمل على كسر صورة المخاطب/ المحبوب محاولة إخفائها خلف صورة أخرى تسعى إلى نحتها تقوم على صلات الصداقة والأدب. ففي هذه الرسالة وغيرها تختفي الصيغ والملفوظات التي تتردد في مراسلات الحب فقد استبدلت ملفوظات الحب – الشوق بملفوظات الصداقة، وعوضت خطاب المكاشفة والبوح (الاعتراف – العفوية) بخطاب المحاجة والتفكير العقلي (التعليل – التفسير-الافتراض – ربط الأسباب بالنتائج ...) وتساهم هذه الأساليب والملفوظات المستعملة في غير مقامها في محو مقام التخاطب في مراسلات الحب وما يستدعيه من صيغ التخاطب بين المحبين وإدراج الكتابة – ظاهرا على الأقل-ضمن مقام التخاطب الأدبي السائد بين الكتّاب والمثقفين في مراسلاتهم الخاصة.

غير أنّ مي زيادة لم تقطع الصلة بمقام التخاطب في مراسلات الحب قطعا تاما فهي تتحدث عن الحب وتوحي للمخاطب في نفس الوقت بأنها تتجنبه، وبدلا عن معجم الحب تستعمل عبارات وصيغا عامة وغامضة (أسماء إشارة –ضمائر– موصولات التعري بأل أو بالإضافة) تلمح إلى الحب ولا تصرح به أو تسميه (أحجمت إزاء الكلمات خوفا ممّا قد تجر إليه – لأحولك عن هذا الموضوع – أتحايد كل كلمة تقربني من (مي، 1954، الصفحات 68-70)ذلك الموضوع –نسيت أنّ الموضوع الآخر جاء عرضا- إما ذاك وإما لا شيء). وتدل الأفعال المسندة إلى المتكلمة على الجهد المبذول من اجل تجنب قول الحب تصريحا (أجمت– أخفي– أصرف– أمسخ – أضحك – أحول – أتحايد). ولمي زيادة رسالة أخرى إلى جبران غلب فيها التصريح على التلميح، فقد تردد معجم الحب فيها على نحو لافت جعلها تشعر بخرق حدود الكتابة التي فرضتها على رسائلها إذ اعترفت للمرة الأولى بحبها لجبران خليل جبران غلب فيها التصريح على

التلميح، فقد تردد معجم الحب فيها على نحو لافت جعلها تشعر بخرق حدود الكتابة التي فرضتها على رسائلها إذ اعترفت للمرة الأولى بحبها لجبران خليل جبران وخصّته بصفة "محبوبي". ولكن مع ذلك لم تخرج الرسالة عن قاعدة التخاطب التي التزمت في رسائلها لجبران خليل جبران وهي المزاوجة بين البوح والكتمان وتغليف الحب بمعاجم ومعان أخرى. والجملة الأولى تحدد الغاية من الكتابة وأسلوب قول الحب: "لقد كتبت كل هذه الصفحات ضاحكة لأتحايل كلمة الحب" (مي، 1954، صفحة 68) وليس أغرب وأطرف من أن تكتب امرأة رسالة حب وهي تقصد إخفاءه فتصرف الخطاب إلى معان أخرى غير الحب أو على الأقل لقول الحب بلغة أخرى، ولذلك كتبت الرسالة ضاحكة – بما في الضحك من الإخفاء والتمويه والعبث بالخطاب ومتقبّله. وهذا الأسلوب ترك آثاره في خطاب الحب ومعجمه، فجاء مقترنا بمعاني النفي والسلب والاستبعاد أو مستعملا في سياق التعميم والإطلاق والتجريد، مخلصا الصلة العاطفية من بعدها الذاتي الخاص للانفتاح على التجربة الإنسانية (الأسماء المعرّفة – الجمل الاسمية التقريرية – ضمير الغائب الجمع)، بل إنّ كتابة الحب أو التلفظ به ترسلا يتسع ويغرق في الغموض عندما ينفتح في آخر الرسالة على بعد أسطوري إذ ينتقل من الحب البشري الأرضي إلى "آلهة الحب" وعشاق كوكب الزهرة.

وإضافة إلى رسائلها إلى جبران خليل جبران تستوقفنا رسالة من رسائلها إلى الرافعي (مي، 1954، الصفحات 98-99) لطرافتها في المزاوجة بين التصريح والكتمان، أو جدل الكلام والصمت على النحو الذي يبينه الجدول التالي:

التصريح/ البوح	التلميح /الكتمان
- قلنا ما شئنا	- بالأسلوب الخاص فيما بين قلبينا لم نقل شيئا في أساليب الحديث
- قلت لي	- بعينيك: أنا...
- وقلت لك	- بعيني: وأنا ...
- تكاشفنا	- بأن تكاتمنا
- تعارفنا بأحزاننا	- شكوى تهم أن تفيض ببثها
- وتكاشفنا مرة ثانية	- بأن تكاتمنا مرة ثانية

إنّ ازدواج الخطاب في هذه الرسالة، فضلا عن دوره في بناء إيقاع الجملة الرسائلية وتوليد معانيها، يدل على أنّ التخاطب الرسائلي بقي يحمل آثار التخاطب في مقام التواصل الشفوي المباشر إذا استبدل المحبان لغة الكلام والعبارة بلغة العيون والإشارة وتبادلا رسائل الحب وهما صامتان، وهذا الازدواج لا يفسر بالوضع الاجتماعي وما يفرضه على تخاطب المرأة مع الرجل من قيود وطرق مخصوصة في التعبير، وإذا سلمنا بان المتكلم في الرسائل عامة ليست ذاتا مجردة ولا متلفظا عاديا بقدر ما هو هوية كائن اجتماعي وذات كاتبة نترك آثارها في الرسالة، انتهينا إلى أنّ المرأة المتكلمة في هذه الرسائل ذات مزدوجة.

فليست مي زيادة المتخاطبة مع جبران خليل جبران ترسلا مجرد امرأة ورجل يتبادلان رسائل الحب، بقدر ما هي ذات كاتبة تنجز التخاطب ضمن رسائل الحب المتبادلة بين الكتاب الأدباء بما يفرضه هذا المقام من مراسم وسنن وما يتركه الخطاب من آثار.

وهذا الازدواج يأخذ في رسائل مي زيادة إلى يعقوب صروف شكل التداخل بين حركتين تتحكمان في بناء الرسالة: ذاتية وموضوعية أو عاطفية و فكرية أو أفقية (علاقة صداقة أو حب) وعمودية (علاقة تلميذة بأستاذ) وهي بهذا الازدواج تخرج من ضيق العائلة إلى رحابة الفكر ومن الشقاء بالأسرة إلى السعادة بالفكر، كما تخرج من ضيق الأنا إلى سعة ألانت، وضمن هذا المعنى يخلص محمد القاضي من تحليله لرسالة من رسائلها إلى أنّ "كتابة الرسائل وان كانت محكومة بمقام فإنها تعمل على تغيير العلاقة الرسائلية من خلال الخطاب "وذلك لان رسالتها" تأخذنا من شقاء الاجتماع إلى نشوة النفس ومن الزيارات المملة إلى الإبداع الرفيع ومن تنغيص الزواج إلى بهجة الفكر" (رمضان م.، الصفحات 157-183) وإذا كانت قلة رسائل المرأة في الحب وازدواج خطابه له ما يفسره ويبرره في المراسلات الحقيقية فكيف نفسر هذه الظاهرة في الرسائل المتخيلة؟

2.3 مراسلات الحب المتخيلة:

إنّ الرسائل التي أسندها الرافعي أو صديقه للمرأة وجعلها فيها مرسلة لا تتجاوز ثلاث رسائل ومقتطفات. وفضلا عن غلبة اقتضاب على رسالتين منها – وهو اقتضاب تعمده الصديق حتى يجعل رسائلها قائمة على التلميح والإبهام أكثر من التصريح والوضوح – فإنّ المرسلة تجنح إلى التحدث عن الحب في صيغ وسياقات عامة ومجردة (الأسماء معرفة أو نكرة– إسناد الكلام إلى ضمائر أخرى كالجمع غائبا ومتكلما) تحول الكتابة من رسالة الحب إلى رسالة في الحب، أي من رسالة "تقول الحب" باعتباره تجربة ذاتية معيشة وعلاقة معقودة بالفعل مع المخاطب إلى رسالة تتحدث عن الحب باعتباره تجربة إنسانية عامة ومعنى أساسيا من معاني الترسل. وحتى السياقات القلية التي تتحدث فيها المرأة عن نفسها بضمير المتكلم المفرد (أنا) وتخاطب الرجل بضمير المخاطب المفر(أنت)، تنزع إلى اجتناب التصريح الذي يسمح به تخصيص المتخاطبين، فيتحول المخاطب من حبيب إلى صديق ويتقيد التحدث عن النفس بالتركيب الظرفي/ الشرطي الذي ينقل تجربة الحب من الذاتي المعيش إلى المحتمل. وأمّا الرسالة الثالثة ومع أنّها أطول الرسائل وأكثرها تصريحا واستعمالا لمعجم الحب وتوسعا في معانيه، فان التحدث عن الحب جاء غالبا في صيغ وسياقات عامة (الأسماء معرفة أو نكرة، إسناد الحب إلى ضمائر غير المتكلم كالغائب – استعمال الجمع للتعميم والتمثيل). والسياقات المحدودة التي تخصص فيها المتكلمة نفسها أو المخاطب تنزع فيها إلى تغليب علاقة الصداقة على الحب وإضفاء أبعاد غير عاطفية على علاقتها بالمخاطب مثل البعد الفكري والروحي بل الصوفي.

وخلاصة القول إنّ المرأة في مراسلاتها تتجاذبها صورتان متداخلتان: صورة عامة (من الخارج) وصورة خاصة (من الداخل)، وتتداخل الصورة العامة المثالية أو المحسّنة في كثير من الأحيان مع صورة خاصة (من الداخل) لتبدو عموما صورة مزدوجة تتجاذبها الثنائيات إلى حد التناقض بين البوح والكتمان. وهذه

الثنائيات التي تتجاذب الرسائل تدل على أنّ المتكلم في مراسلات الأدباء – سواء كانت مراسلات الرجل أو المرأة، حقيقية أو متخيلة – يخضع لقاعدة في التخاطب هي الازدواج في هويته، إذ هو يتخاطب مع المرسل إليه باعتباره كاتبا وإنسانا أي كائنا ثقافيا واجتماعيا في آن واحد. وبغض النظر عن غلبة الاعتبار الأول أو الثاني، فإنّ صورة المتكلم عامة لم تتجاوز هذا الازدواج، بل إنّ المتكلم لا يسعى نحو تجاوزه لأنّه يحدد هويته المتميزة في الرسائل الخاصة بين الكتاب ويتيح له إمكانية التحدث عن ذاته الخاصة والعامة، كما يمكنه من إغناء التخاطب الرسائلي بعناصر متنوعة من السرد الذاتي.

4. بناء الصلات الذاتية بين المتخاطبين:

وبالإضافة إلى صورة المرسل، يُعتبر ترسّل المرأة ذا مقاصد ذاتية لا تخلو من الخصوصية والمفارقة. فمن خصائص هذا الترسل أن يكون التحدث عن الذات ترسلا مقصدا في ذاته، ومن مفارقاته أن يكون قول الحب، وهو المقصد الرئيسي لرسائل الحب، غير قابل للتحقيق إلا تكتما وتلميحا، فمن المفارقة أن تكون رسالة مي زيادة النادرة في تاريخ رسائل الحب الحديثة لم تكتب لقول الحب بل لتحايد كلمة الحب. ومن خصائصه كذلك انه ليس مجرد مقام تخاطب اضطراري اقتضاه التباعد، وإنّما هو كذلك اختيار لمقام يحرر المرسلة من ضغوط المواجهة ويمكّنها من أن تستخدم بلاغة المكتوب التي تتيح لها أن تحقق مقاصد لصيقة بعالم الكتابة كأن تكتب رسالة في الحب للتحايد كلمته (القديم، صفحة 40) ولكن يبدو أنّ وضع المرأة المخصوص جعل مقام التّرسل ومقام التلفظ الشفوي متشابهين، فإذا كان التلفظ بالحب تلفظا شفويا مباشرا يمكن أن يؤدي إلى الإحساس بالخجل فإنّ كتابته في رسائل خاصة يعد تلفظا لا يقل إحراجا.

ونتيجة لهذه العوامل المختلفة، من الطبيعي أن تنشأ بين الرجل والمرأة صلات مختلفة منها الذاتية (الصداقة، الحب) ومنها الأدبية، ومن الطبيعي كذلك أن تكون المراسلات الخاصة وسيلة أساسية في التواصل بينهما أو التعبير عن هذه الصلات إضافة إلى التواصل الشفوي المباشر، ولئن لم يتح لنا أن نطلع على أغلب هذه المراسلات لأسباب مختلفة – فمن طبيعة المراسلات الخاصة ألا تكون معدّة للنشر واطلاع القارئ العام عليها – فقد وصلتنا مجموعة منها عن طريق النشر والدراسات. وقد ساهم ذلك في انتشارها والإقبال على قراءتها باعتبارها لونا جديدا من الرسائل غير معهود في تقاليد التلقي. ومن أبرز مراسلات الحب التي تداولتها القراءات نذكر رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة الموسومة بـ "الشعلة الزرقاء" ورسائله إلى ماري هاسكل الموسومة بـ "رسائل الحب"، ورسائل مي زيادة إلى عدد من الأدباء أبرزهم جبران خليل جبران، ورسائل المعداوي إلى فدوى طوقان، وخاصة منها رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان التي أثار نشرها ردود أفعال متباينة. ولئن عبرت هذه الرسائل عن صلات متعددة ومتداخلة فإنّ صلة الحب تبقى أساسية وغالبة على غيرها من الصلات المنعقدة بين الرجل والمرأة، وبالنظر إلى استئثارها بموضوع الكتابة وأثرها في التخاطب الثنائي. على أنّ التحول التاريخي الذي أوجد أوضاعا مكنت المرأة من اقتحام ميدان الكتابة عامة والترسل خاصة، والتعبير عن ذاتها وعقد صلات متنوعة مع الكتّاب، لم يكن تحوّلا كليا بل بقيت القيم والتقاليد التي تحدد صلة الرجل بالمرأة لم تتغير تغيرا

جوهريا، فلم يكن متاحا للمرأة أن تعبر عن ذاتها بحرية وتلقائية، بل كانت تلتجئ إلى طرق ملتوية وغير مباشرة للإفصاح عن دواخلها، وقد انعكس هذا الوضع على مراسلاتها الخاصة مع الرجل وخاصة مراسلات الحب، فبالإضافة إلى قلّة مراسلات المرأة والرجل مقارنة بمراسلات الرجال، فإنّ المراسلات التي يمكن أن تدرج بالفعل ضمن رسائل الحب أي الرسائل التي تتخاطب فيها الرجل مع المرأة مع الرجل باعتبار علاقة الحب وما ينتج عن هذا التخاطب من معاني البوح والاعتراف والتعبير عن عاطفة الحب في مختلف أحوالها وعن العلاقة الوجدانية في مختلف مراحلها ومنعرجاتها، تكاد تكون مفقودة بالاعتماد على الرسائل التي وصلتنا عن طريق النشر وزيادة على كون الرسائل المنشورة هي رسائل الرجل إلى المرأة لا رسائل المرأة إلى الرجل ماعدا رسائل مي زيادة، فإنّ المرأة لم تتخاطب مع الرجل باعتبار صلة الحب إلا في رسائل قليلة جدا، ولعلّ رسائل مي زيادة استثناء في تاريخ التّرسل بكسر حاجز الصمت أو الرقابة وشق طريقها إلى القرّاء بنشرها. وبالرغم تعدد الرسائل المنشورة وتنوع المرسل إليهم، فإنّ رسائل الحب الحقيقية لا تتجاوز الرسالتين. وهذا الوضع أثّر على المرأة المترسلة ففرض على تخاطبها مع الرجل قيودا وأملى عليها أن لا تعبر عن حبها للمرسل إليه وصلتها الحقيقية به إلا تلميحا أو في حدود ما تسمح به تقاليد المجتمع وقيمه، كما أثّر على وضع مراسلات الحب في النثر الحديث، فلم يسمح لنا بأن نكوّن صورة واضحة ومتكاملة عن هذا الجنس الرسائلي فمن ناحية، أدى ضياع رسائل المرأة إلى إعادة بناء صورتها مترسّلة أو محبة على نحو غامض وعلى سبيل التخمين والتقريب، وفرض على الباحثين أن يحاولوا استنباط ملامح المرسل إليها أو علاقتها بالمرسل من خلال رسائل الكاتب وحدها وما يمكن أن يعثروا عليه فيها من آثار لرسائلها.

ومن ناحية أخرى، فإنّ صدور رسائل الكاتب بدون ردود المرأة عليها جعلها تبدو صوتا بلا صدى أو حوار مبتورا أو نصف حوار: وهو ما يمثل عائقا أمامهم لاستكمال ملامح المتخاطبين وخصوصية العلاقة العاطفية المتشكلة في المراسلات من خلال الحركة الحوارية بين الرسائل و الردود، وأمّا الرسائل المعدودة التي كتبتها مي زيادة لجبران خليل جبران فإنّها لا تصلح مثالا لرسائل الحب التي تتخاطب فيها المرأة مع الرجل على أساس هذه الصلة أو العاطفة، بل تصلح شاهدا معبرا عن المآزق والمفارقات التي وضع فيها المجتمع المرأة المتكلمة في رسائل الحب. فهذه الرسائل القليلة بدل أن تكون اعترافا وبوحا بالحب أو تعمقا في تصوير وضعها الذاتي، كانت خلافا لذلك اختزالا لجملة من المفارقات التي تتجاذب المتكلمة في علاقتها بذاتها امرأة محبة وكاتبة مترسلة وفي علاقتها بالمخاطب رجلا وكاتبا، وتكفينا رسالتها إلى جبران خليل جبران (مي، 1954، الصفحات 68-70) شاهدا على هذه الثنائيات التي تتجاذبها أبرزها:

- تجاذب الأسلوب بين البوح والإخفاء، أو بين التصريح والتلميح.
- تجاذب هويّة المتكلمة بين الذات الاجتماعية (الفتاة الشرقية الخجولة) والذات الكاتبة (المرسلة المنشئة لرسالة الحب).
- تجاذب علاقة المرسلة بالمرسل إليه بين الصداقة والحب.
- تجاذب مقصد التخاطب بين كتابة رسالة استثنائية في الحب وكتابة رسالة عادية في الصداقة.

وقد جنحت رسائل أخرى إلى التحرر الكلي من هذه الأزواج الحوارية الكلاسيكية وتخليص الترسل من الأغراض القديمة الناظمة له بما تقتضيه من صناعة بلاغية محددة قواعدها وشروطها، وابتداع أعمال لغوية جديدة ذات صلة بحداثة الكتابة وأمّا الأساليب الإنشائية التي تنجز بها عادة تلك الأغراض وما تتطلبه من أعمال لغوية فقد استخدمت استخداما مغايرا ووجهت للتعبير عن المقاصد الخاصة بالرسائل الحديثة من ذلك أن رسائل الحب الحقيقية، لا يمكنها أن تواصل استخدام الأزواج الحوارية التقليدية وما يتصل بها من أساليب إنشائية وصناعة بلاغية متصلة فزيادة على ارتباط هذه الأزواج بالرسائل الإخوانية (أي الصلة بالإخوان لا المحبين)، فإنّ مراسلات الحب نمط جديد من الكتابة وجنس أدبي مستحدث، ولحداثة النشأة دور مهم في تحرر الكتّاب من السنن التعبيرية واستحداث طرائق جديدة في التعبير عن صلة الحب باعتبارها تجربة ترسلية غير مسبوقة

وإذا ما وافقنا من ذهب إلى اعتبار قول الحب في الرسائل الحديثة (رسائل غسان كنفاني مثالا) ملفوظا إنجازيا أكثر من كونه ملفوظا إخباريا، فإنّ علينا أن نراعي خصائص هذا الملفوظ في رسائل المرأة لأنّ لها أسلوبا خاصا في التلفظ بالحب وبناء صلته واستخدام الأساليب الإنشائية المنجزة للأعمال اللغوية المتصلة به وتتمثل خصوصية التلفظ بالحب باستخدام ملفوظات أخرى غير ملفوظات الحب، إذ تحوّل قول الحب من عمل لغوي مباشر تسمية غادة السمان بـ "البوح" و "الاعتراف"، إلى عمل لغوي غير مباشر ينجز بصيغ و ملفوظات تقول الحب ضمنيا لا تصريحا فهي زيادة، سواء في رسائلها المنشورة إلى جبران خليل جبران أو من خلال ردوده على رسائلها في الشعلة الزرقاء"، تتجنب التلفظ بالحب وماله علاقة به، تلفظا صريحا ومباشرا وتبحث عن ملفوظات يمكن استخدامها لإنجاز قول الحب أو صلة من صلاته انجازا ضمنيا وغير مباشر وإذا اقتصرنا على الاستفهام مثالا للتلفظ الانجازي في رسائل مي زيادة لوجدنا أنّه لم يُنشأ للاستخبار بل للإثبات والتقرير، وذلك لان الجمل الاستفهامية تُعدد عوامل تحوّل الصداقة حبا، أو على الأقل التباس الصداقة بالحب، ومن هنا يكون الاستفهام وسيلة من الوسائل المستخدمة لإنجاز عمل لغوي غير مباشر وهو قول الحب دون التلفظ به تلفظا صريحا كما أنّها في مواضع أخرى من رسائلها لا ولئن تستخدم الاستفهام للاستخبار بل للبوح وحمل المتلقي على فهم المحتوى القضويّ المقصود من العمل اللغوي المنجز، وذلك لأن الاستفهام دال على التقرير والإثبات كقولها: "وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب؟" ولئن استخدمت المتكلمة الاستفهام لتجنب البوح بالحب وقوله مباشرة فإنّ الإخفاء يكون في رسائل الحب أدلّ عليه من التصريح، لأنّ المرسلة لا تكتفي بالتلفظ بالحب تلفظا مباشرا وفرديا بل تشرك المرسل إليه في التلفظ وتجعله طرفا مساهما في إنجازه ويدل على ذلك عدم اكتفاء المرسلة بالاستفهام سواء كان للاستخبار أو الإقرار بل تزاوج بينه وبين الأمر الذي تطلب به صراحة من المرسل إليه أن يكون طرفا مشاركا في التلفظ بالحب وإنجازه عملا لغويا صريحا في رسالة الرّد بعد انجازه عملا لغويا ضمنيا في رسالتها وذلك في قولها: "ما هو؟ قل لي أنت ما هو هذا وقل لي ما إذا كنت على ضلال أو هدى".

ويُعد الغموض الذي يضيفه المتكلم على صورته وعلاقته بالمخاطب جزءا من هذه "الاستراتيجية " التخاطبية إذ يمثل الغموض نوعا من الإغواء وعاملا من عوامل تعلق كل طرف بالآخر خاصة وأنهما أديبان كّلما ازداد التخاطب غموضا وانزياحا ازداد إعجابا وانجذابا. ولئن بدا وضع المرأة مختلفا عن وضع الرجل لاختلاف دوافعها عن دوافعه، فإنّ الانطلاق من المعطيات السالفة الذكر يُفضي بنا إلى نتائج متقاربة إن لم تكن متماثلة. وذلك أنّ المرسلة وإن كان تحفظها في الاعتراف بالحب وفي استخدام الصيغ الخاصة للتلفظ به مبررا بوضعية المرأة الشرقية في المجتمع، فإنّ المرسلة اتبعت نفس المنحى الذي نحاه الرجل، بإكساب العلاقة التخاطبية مسحة من الغموض انعكست على صلة الحب والصيغ والملفوظات المستخدمة لبنائها، فهي زيادة كانت تتخاطب مع جبران باعتباره أديبا وصديقا وحبيبا، وتدعوه إلى حب مثالي كان هو نفسه مؤمنا به. وأمّا فدوى طوقان المرسلة فإنّ تحفظها في التلفظ بالحب وطريقتها الخاصة في التخاطب مع المرسل إليه ظاهرة لا تستغرب لا من امرأة شرقية فحسب بل أيضا من شاعرة اتخذت التلميح وسيلة للتعبير ووجدت في الغموض ثراء للعبارة واستمرار للمعنى، وقد عبرت عن هذا المنحى في قصيدة إلى "إلى صورة " التي تنهيها بالمقطع التالي:

هكذا، وليظل حبي سرا كبيرا
غامضا، إنّ للغموض لسحرا
آسرا يجذب النفوس إليه
حيث تبقى مشدودةً في يديه
ليس تقوى على الفكاك فكوني
أنتِ مثلي لديه عمقا وغورا
هكذا، وليظل نهب الظنون
تائها بين شَكِّهِ واليقينِ

وإذا كانت فدوى طوقان الشاعرة تستخدم في القصيدة الصورة لبناء هذه العلاقة وإشاعة الغموض فإنّ فدوى طوقان المترسلة تستخدم الرسائل وما يوفره مقامها من طرائق في التلفظ وأعمال لغوية من شأنها أن تحقق نفس المقاصد. وهكذا يصبح الفصل بين الذاتين (لا المرسلة/ الشاعرة) أمرا متعذرا أحيانا بسبب الازدواج في هوية المتكلمة، فمثلما نجدها في القصيدة مرسلة (اتخذت القصيدة شكل الرسالة واستخدمت الصورة رسولا ورسالة) نجدها في الرّسائل شاعرة (الغموض والاستخدام الخاص للملفوظات).

وهناك نوع آخر من رسائل الحب نحا فيه أصحابه منحى مغايرا في التلفظ بالحب قام على البوح والاعتراف لا على الإخفاء والغموض، فتميزت لذلك الأعمال اللغوية المنجزة من حيث الصيغ المستعملة أو الدلالات والمقاصد. وتعدّ رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان نموذجا فريدا من نوعه في هذا المنحى، إذ تمثل تأسيسا لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة ويكاد يكون معدوما عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية مراسلات الاعتراف: اللون الناقص شبه المفقود في لوحة الأدب العربي" (غسان، 1994، صفحة 12)

كما تمثل وثيقة أدبية وسيرة ذاتية نادرة الصدق لمبدع عربي، مع الوطن المستحيل والحب المستحيل ... وثيقة ثرية بأدب الاعتراف الذي تفتقر إليه مكتبتنا العربي (غسان، 1994، صفحة 12) والرسائل بهذا المعنى تسد نقصا سبقتنا إليه الأمم الأخرى إلى العطاء في مجاله، وتؤسس لنوع جميل من الأدب ما زلنا نتهيب أمام بحاره". ورغم أنّ علاقة غسان كنفاني بغادة السمان علاقة معقدة ومحفوفة بموانع عديدة من المفروض أن تمنعه من البوح والتصريح، فإنّ رسائله جاءت خلافا للمتوقع مليئة بالبوح والاعتراف. وتجربة فريدة في الأدب العربي أثارت ردودا مختلفة وما تزال. ولعلّ تلك العوامل التي بدت للكثير موانع دون نجاح التجربة أو إمكان البوح قد تحولت لدى غسان الكنفاني مرسلا دافعا لكسر القيود المفروضة على علاقة الرجل بالمرأة ومجالا لقول "الحب المستحيل".

ولا شكّ في أن النقاد أقروا بأنّ صلة الحب التي تعبر عنها رسائل غسان كنفاني تجربة فريدة ونادرة في العصر الحديث، بيد أنهم عنوا العلاقة العاطفية خارج مجال الكتابة لا العلاقة التراسلية المنشئة لكتابة الحب، ولم يميزوا بين غسان كنفاني مرسلا أي الذات الكاتبة والمتلفظة في مقام مخصوص وهو مراسلات الحب بين الكتّاب، وغسان كنفاني إنسانا أي الذات الاجتماعية التي تعيش في الواقع. وقد أدّى هذا الخلط إلى إطلاق أحكام أخلاقية لا علاقة لها بالكتابة الأدبية حتى لو اتخذت شكل رسائل وجدانية أو "أوراق خاصة" وتمثل مقدمة غادة السمان لرسائل غسان الكنفاني استثناء لأنّها من القراءات القليلة التي تحدثت عن غسان كنفني مرسلا أي ذاتا كاتبة بالإضافة إلى تحدثها عنه رجلا أي ذاتا اجتماعية، ونظرت إلى هذه الرسائل على أنّها تجربة كتابية متفرّدة قبل أن تكون تجربة عاطفية مأزومة، وذلك بإخراجها من الخاص إلى العام وتحويلها من رسائل شخصية إلى وثائق أدبية من ناحية، والإشارة إلى عمق تجربة الكتابة وصلة المبدع باللغة من ناحية أخرى. فإذا كانت الرسائل في ملفوظها تعبيرا عن "جموح القلب إلى المستحيل" فهي تلفظها تعبير عن "شهية الأشواق إلى تقمص اللغة حتى البقاء".

5. آثار الحوارية في الرسائل:

حاول الدارسون ربط الرسائل بالردود، وازدادت عنايتهم بالصلة بينها، ووجدوا صعوبة في التعامل مع الرسائل التي ضاعت ردودها أو نشرت بدونها. والكتاب الذين نشروا الرسائل بدون الردود أدركوا الإشكال الذي سيواجه القارئ حين يضطر إلى أنّ قراءة الرسائل دون الاطلاع على الردود أو معرفة الإطار الحواري الذي كتبت فيه، من ذلك أنّ غادة السمان قد أدركت الخلل الذي يمكن أن يحدث بسبب نشر رسائل غسان كنفاني دون ردودها عليها، فعملت على تعويضه أو تعليله (غسان، 1994، صفحة 15) وسعت إلى تجاوز المأزق الذي ينتج عن قراءة رسائل غسان كنفاني بدون ردوده وتحريرها من قيد الإطار الحواري الذي انبثقت عنه، فحولت موضع التقبل من الخاص إلى العام، ومن البعد الذاتي إلى البعد الأدبي، وهذا التحويل قد يقنع القارئ بإمكان قراءة الرسائل دون الردود ولكنه يحرمه من مفتاح أساسي من مفاتيح قراءة هذا الجنس من الرسائل لأنّه يجردها من الإطار الذي نشأت فيه ويحولها من جنس حواري إلى جنس من الكتابة لا يختلف عن أجناس الكتابة النثرية الذاتية مثل الترجمة الذاتية واليوميات

والمذكرات، أو يحول وجهة القراءة من المجال الأدبي الإنشائي الذي ينشأ عن التفاعل بين الرسائل والردود إلى المجال التداولي الذي يختزل قيمة المراسلات في الوظيفة الوثائقية المرجعية لا تتجاوز كونها وثائق أدبية نادرة الصدق وفي أفضل الحالات نصا مصاحبا نادر الوجود.

وهذا الإشكال نفسه واجهه رجاء النقاش عند نشره لرسائل المعداوي بدون ردود فدوى طوقان عليها بتجريد الرسائل من الرسائل نفسها (مقدمة – نصوص الرسائل – هوامش – تعليق – ملحق) وكيفية تقديم الرسائل للقارئ ما يدل على أثر من آثار البنية الحوارية، وعلى المأزق الذي تؤدي إليه قراءة نص كتب أصلا ضمن حركة حوارية تواصلية بأدوات ومناهج لا تراعي هذه الحركة وإطارها التداولي الذي يستدعي أدوات خاصة. صحيح أنّ عددا من رسائل غسان كنفاني رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر ممّا تدخل في باب الرسائل الشخصية، وإنّ رسائل المعداوي ليست مجرد رسائل شخصية خاصة وإنّما يمكن عدّها أثرا أدبيا وإنسانيا، وإنّ رسائل السياب لم تكن جميعها مشروطة بالآخر في الحدود الشخصية الصرف، إلا أنّ هذا البعد الأدبي أو الإنساني العام لا يتحقق في جميع الرسائل، وحتى الرسائل التي اعتبرت وثائق أدبية أو سيرة ذاتية أو أثرا أدبيا وإنسانيا أو تاريخيا عاما، فهو مجرد تأويل وليس هناك تعارض بين الإقرار بهذا البعد وبين اعتبارها رسائل شخصية، بل أنها لم تكسب أبعاد أدبية أو إنسانية إلا لكونها مراسلات خاصة أو رسائل شخصية متبادلة بين الكتاب، والإطار الحواري الذي يميز هذا الجنس من الرسائل ساهم بدور أساسي في تقاطع الجانب الشخصي والجانب الأدبي أو الإنساني.

6. الخاتمة:

وبغض النظر عن مدى صحة اعتبار رسائل المرأة جنسا فرعيا من أجناس الرسائل، أو اعتبار الترسل فنا أو جنسا "نسائيا" خصّصنا صورة المرأة المتكلمة في الرسائل الحقيقية أو المتخيلة وتوصلنا إلى أنّ عوائق عديدة حالت دون إجلائها وأنّ صوت الرجل بقي مهيمنا على صوت المرأة ولم يفسح لها مجالا لتتكلم عن نفسها إلا بصورة محدودة. وقد نشأت عن هذا الوضع صورتان متداخلتان: عامة وخاصة. أمّا الصورة العامة فدلّت على أنّ المرأة حتى في رسائلها الخاصة لم تنزع "قناع" الكاتبة كليا ولم تتحرر من صورتها المثالية العامة، فضلا عن إحالة الصورة على الذات الاجتماعية والثقافية، حيث تذوب الذات الفردية في الذات الجماعية وتصبح قضاياها الخاصة جزءا من قضايا المرأة وشواغلها العامة. وأمّا الصورة الخاصة فلئن مكنت الرسائل المتكلمة إلى حد معين من كسر صورتها العمة أو الخارجية لتفصح عن ذاتها الخاصة، فإنّ هذه النزعة لم تبلغ حرية البوح والتعرية التي عرفتها الكتابات الذاتية في الغرب بل خلافا لذلك وجدناها تعبر بأساليب مقنعة وتجعل خطاب الحب متراوحا بين التصريح والتلميح أو بين الخاص والعام.

7. قائمة المراجع:

- القاضي محمد، بن رمضان صالح (1998)، **مراسلات الأدباء في العصر الحديث**، مسألة من خلال النصوص، تونس.
- بلعابد عبد الحق، (2008)، **عتبات من النص إلى المناص**، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- مي زيادة، **رسائل مي، صفحات مجهولة وعبرات من أدب مي الخالد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1954.
- كنفاني غسان، **رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان**، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط3، 1994.
- النقاش رجاء، **بين المعداوي وفدوى طوقان، صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر**، البيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
- الرافعي مصطفى صادق، **أوراق الورد**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994.
- أحمد الطويلي، **مي زيادة وعشاقها الأدباء**، المطبعة الرسمية، بن عروس، تونس 2003.
- أمل داعوق سعد، **فن المراسلة عند مي**،
- صالح بن رمضان **المعنى في التخاطب الرسائلي القديم ضمن المعنى وتشكله**، منشورات كلية منوبة، تونس ،2003.
- محمد القاضي، صالح بن رمضان، **مراسلات الكتاب في العصر الحديث**.
- **المعنى في التخاطب الرسائلي القديم**.